فلنتفاءل ....

للآنسة أميرة الحاج حسين

في مكان ناء عن ضوضاء المدينة وجلبتها وفي بقعة ارض انطلقت فيها النسمات السكرى تترنح حاملة اريج الورد ، وعبير الافحوان ، وشذى الياسمين ...

وفي جو سحري يغري المرأ للتمتع بمناظر الطبيعة الخلابة جلست اسرح النظر .. واجيل الطرف .. واصيخ السمع

كنت ارى كل ما في الكون بهيجاً يسكر وكل ما في الجو لحيياً يسعر ، انه يسعر الاجسام ، وانما يسعر الاحساس ويلهب الارواح ويخرجها من مكامنها البالية . الى نور الجمال والحقيقة .. ويمس اوتار القلوب بيد السحر والروعة فتخرج تهاويل الاحلام وتنبعث همسات الالحان ..

كانت الازهار تلوح من بعد وكأنها الفاظ حب رقيقة مغشاة بغلائل من الاناقة والجمال . فيها معان لاتحصى من معاني القلب العقدة .. وكنت اسمع حفيف الاشجار فاخالها قيثارة (اوبرفيوس) (١) تعزف احدى مقطوعاتها الالهية الخالدة ..

واسمع هدير النهر فأحسبه قهقهات عذارى اسكرتهن نشوة الغرام وعبثت بقلوبهن يد الحب الاهية فجعلت من ضحكاتهن رمزاً للامل الظامئ والسحر الجريح .

استولى هذا الجو الخيالي على نفسي فطغى عليها .. اجل كنت انظر الى الدنيا بعين الرضى فأراها صفواً ومتعة حبوراً ولذة .

لم أكن في جنة الخلد ، ولافي روضة عدن وانما كنت في بقعة ارض كغيرها من البقاع ، ولكن الذي جعلني اراها بهذا المنظر الخلاب هو شعوري واحساسي بل نفسي التي انعكست عليها فمسحتها بمسحة الجمال والبشر فافاضت عليها ثوباً من

(١) آلة الموسيقى عند اليوناني الأقدمين

النضارة والشباب .

لو جلس فيها البائس الذي قنط من رحمة ربه وقطع حبل الامل بينه وبين باريه لخالها ارضاً قفراء وبقعة جرداء .

ينظر الشاب الى الارض فتظهر له فتية شابة ويشعر انه في دنيا الصبا واحواء العنفوان ، تتملى له الدنيا بالازهار فتملأ نفسه ازهارا .. وتشرق شمس الربيع فتوجد ربيعاً آخر في قلبه .

وينظر الهرم الى الدنيا فيجدها الشيخوخة مجسمة ويشعر بانها في معركة الزوال وساحة الفناء . فلا يفكر الا بالعدم ولا ينظر الا بعين اليأس والافول .

ان الاشياء باقية على حقيقتها لا تتغير ولا تتبدل وانما وجهة نظر الناس اليها هي المتغيرة المتبدلة . فمن ينظر الى الدنيا بمنظار التعاسة والشقاء يراها انحس واشقى . ومن يصوب اليها منظار السعادة والهناء يجدها اسعد واهنأ .

فالمريض العليل يجد الماء مراً كمرارة العلقم ولو كان عذباً سلسبيلا ويجد الدنيا حزينة كئيبة ولو كانت في ليلة من ليالي عرسها الجميلة .

يرى الانسان الاشياء ويحكم عليها كما يريد ان يراها لا كما تريد هي ، فيجردها من صفاتها الجوهرية ويهبها صفات لا تمت الى حقيقتها العارية بسبب .

فنجد مريض العقل ، يظن في الناس الظنون ويتهمهم بتهم باطلة تخالف ماتنطوي عليه نفوسهم . فيرى الفضيلة رذيلة والشرف ضعة ، والامانة خيانة ، والصدق كذب ، والعفاف فحش .

أجل يراها هكذا لأن صفاته واخلاقه توحي اليه بذلك بل تسيطر على تفكيره وتهيمن على عقليته وتشل موضع الاحساس فيه فتسول له ان يهبها صفات تناسب هواه ورغبته وترضي ارادته ومشيئته .

ولعمري لقد صدق الشاعر عندما قال :

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق فيما اعتاده من توهم

دير الزور : أميرة الحاج حسين